فايز يوسف محمد

مفهوم البيتاس *Pietas* فى المصادر اللاتينية وفى إنيادة فيرجيليوس *Vergilius*

ارتبطت كلمة *pietas*(•) فى اللاتينية من ناحية الجذر بكلمات أخرى مثل: *piare* و *piaculum* و *pius*، ومن ناحية المعنى أو الاستخدام بكلمات مثل: *fides* و *iustitia*، واستخدمت فى المصادر اللاتينية وخاصة عند فيرجيليوس فى الإنيادة فى معانى عدة سوف نتعرض لها فى هذا البحث.

ويرجع السبب فى اختيار هذا الموضوع إلى أهمية البيتاس *pietas* التى تعنى "التقوى أو الورع"، من بين معانيها، كخلق رومانى أصيل تحلى به الرومان، وخاصة فى مراحل حياتهم الأولى، واخترنا الإنيادة، مع مصادر أخرى متنوعة، لأن الجو الدينى هو المسطر على أحداثها، وآينياس *Aeneas* بالذات لأنه وصف فى مواضع كثيرة فى الإنيادة بالتقى أو الورع *pius*،(•) وهو أيضاً المحب لوطنه، حامل همومه على كاهله، البار بأبيه، الموقر لآلهته، الحريص على ابنه ورفاقه، وفضلاً عن هذا وذاك لأنه نموذج فريد للتقوى الرومانية.

(•) كلمة pietas و pius تقابلان فى اللغة اليونانية كلمة εὐσέβια و εὐσεβής :
cf. The Oxford Classical Dictionary, Edited By Hammond (N. G. L.) And Scullard (H. H.), Second Edition, Oxford At The Clarendon Press (1979) s. v. Religion.

(▪) وقد قام Wagenvoort بعمل حصر لعدد المرات التى ذكر فيها اللقب pius Aeneas واللقب pater Aeneas فوجد أن كل لقب ذكر ثمانية عشر مرة على النحو التالى:
pius Aeneas: i. 220. 305. 378; iv. 393.; v. 26. 286. 418. 685.; vi. 9. 176. 232; vii. 5; viii. 84; ix. 255; x. 591. 783 . 826 ; xi. 170.
pater Aeneas: i. 580. 699; ii. 2; iii. 716; v. 348. 461. 545. 700. 827; viii. 28. 115. 606; ix. 172; xi. 184. 904; xii. 166. 440 . 697 .
Wagenvoort (H.)., Studies In Roman Literature, Culture And Religion. Leiden E. J. Brill, (1956) p. 82.

والبحث يناقش معانى كلمة *pietas* المستخدمة فى المصادر اللاتينية وخاصة عند فيرجيليوس فى الإنيادة والدور المحورى الذى لعبته تقوى آينياس فى الإنيادة ومرادفات هذه الكلمة ثم عبادتها كإلهة مجردة مع ألوهيات أخرى.

وقد كانت البيتاس *pietas* بمثابة حجر الزاوية بالنسبة للأخلاق الرومانية، وعرف الشخص الرومانى بصفات مثل: *gravitas* "الصرامة" و *superbias* "الغطرسة" و *humanitas* "الإنسانية"، وكلها تبدو فى ظاهرها متناقضة، إذ كيف يمكن الجمع بين غطرسة الرومان وصرامتهم وبين إنسانيتهم، لكن هذا اللغز يمكن حله من قراءة كلمات فيرجيليوس التالية:

tu regere imperio populos, Romane, memento;
(hae tibi erunt artes), pacique imponere morem,
parcere subiectis et debellare superbos!
"أما أنت، أيها الرومانى، فتذكر أن تحكم الشعوب بسلطانك،
ستكون هذه هى فنونك، أن تفرض سنة السلام،
وأن تعفو عن المغلوبين وتذل المتغطرسين"

حيث تجلت صرامة وغطرسة الرومان فى فرض سيطرتهم على الشعوب المتغطرسة وتجلت إنسانيتهم فى نشر السلام فى ربوع الأرض والعفو عن الشعوب المغلوبة التى رفعت راية الاستسلام لروما.(١)

وبنظرة سريعة إلى أخلاق الرومان كما صورها أدباء الرومان، ومن بينهم فيرجيليوس، نجد أن خلق البيتاس *pietas* قاد آينياس الذى اشتهر بتقواه *insignis pietate* إلى تأسيس مدينة روما، وتحدى مخاطر الرحلة إلى العالم السفلى ليقابل أباه فى وادى السعداء *Elysium* بفضل تقواه أيضاً:

‘‘venisti tandem, tuaque exspectata parenti
vicit iter durum pietas?
"لقد أتيت أخيراً، هل تغلب حبك المتوقع لأبيك على الطريق الصعب؟"(٢)

(1) Verg. A. vi. 851-53.

(2) Verg. A. vi. 687-88.

حيث ترد هنا كلمة *pietas* فى هذين البيتين بمعنى "الحب"، وهو ما سوف نتعرض له فى الصفحات التالية.

لكن بينما الولاء والحب يدفعان بطل فيرجيليوس لتحدى هذه الأخطار لمجرد الحديث فقط مع أبيه، نجد الأبناء عند بلاوتوس، كما يذكر سيجال *Segal*، لديهم طموحات مختلفة تماماً؛ فهم يريدون أن ينزل آباءهم إلى حيث يعيش السعداء فى العالم السفلى، أى يريدون موتهم. ففى مسرحية بيت الأشباح *Mostellaria*، على سبيل المثال لا الحصر، يصرخ فيلولاخيس *Philolaches* قائلاً:

Utinam nunc meus emortuos pater ad me nuntietur,
"ليت أى شخص يخبرنى عن موت أبى".(١)

لكن عند فيرجيليوس يعد جوبيتر حونو بأن الرومان الذين تجرى فى عروقهم الدماء الإيطالية والطروادية سوف يتفوقون على سائر البشر والآلهة أنفسهم فى تقواهم:

hinc genus Ausonio mixtum quod sanguine surget,
supra homines, supra ire deos pietate videbis,
"من هنا يظهر جنس مختلط بالدم الأوسونى
سوف ترينه يتفوق على البشر والآلهة بتقواه".(٢)

هذه الأخلاق التى صورها فيرجيليوس هنا تقترب فى الواقع من عصر ساتورنوس *Saturnus* الذى، كما يذكر فيرجيليوس، أتى إلى إيطاليا وبالتحديد إلى المكان الذى سماه هو نفسه بعد ذلك بإقليم لاتيوم لأنه كان قد أختبأ فى هذا المكان هرباً من أسلحة جوبيتر وحكم بين أهل لاتيوم بالعدل وعاش حياة لا يعكر صفوها شئ، وسمى هذا العصر بالعصر الذهبى.(٣)

(1) Plaut. Most. 233; cf. also Segal (E.), Roman Laughter, The Comedy of Plautus. Plaut. Most. 233; cf. also Harvard University Press-Cambridge (1968), p.16-17.

(2) cf. Verg. A. xii. 838-39 and Gordon Williams, Technique and Ideas in The Aeneid, Yale University Press, New Haven and London. (1983), p. 143.

(3) Verg. A. viii. 319-25.

وقد وصف آينياس فى الإنياذة أيضاً بأنه أفضل الجميع فى تقواه وعدله وأعظمهم فى الحرب وحمل السلاح:

rex erat Aeneas nobis, quo iustior alter
nec pietate fuit nec bello maior et armis[1]

لكن عند بلاوتوس يختلف الوضع ففى مسرحية بسيودولوس *Pseudolus* فى البيت ١٢٠ يذكر بسيودولوس لكاليدوروس *Calidorus* أنه إذا لم يجد أى شخص أخر يخدعه للحصول منه علي المال فسوف يخدع أبيه:

si neminem alium potero, tuom tangam patrem

ويرد عليه كاليدوروس فى البيت ١٢٢ قائلاً بأن تقواه أو إحساسه بالواجب نحو أمه يدفعه إلى أن يخدع أمه أيضاً:

pietatis causa - vel etiam matrem quoque.

هنا، كما يذكر *Segal*، تحدث بلاوتوس بصيغة تنم عن تقوى ليقول العكس، ليخدع الأب والأم معاً، وهو اندفاع يمثل اتجاه الأبناء عند بلاوتوس تجاه آبائهم؛ ويكرر كاليدوروس العبارة بطريقة تدل على سخرية أيضاً أثناء حديثه مع باللیو *Ballio* القواد الذى يقترح عليه أن يسرق من أبيه وذلك فى البيت ٢٨٨: *surruperes patri*، وهى نفس فكرة منيسيلوخوس فى مسرحية التوأمتان باخيس *Bacchides* فى البيت ٥٠٧:

aliquid surrupiam patri

ويرد كاليدوروس بطريقة تدل على سخطه وسخريته فى البيت ٢٩١ قائلاً:

atque adeo, si facere possim, pietas prohibet
"حتى ولو استطعت أن أفعل فإن تقواى تمنعنى".[٢]

(1) Verg. A. i. 544-45; cf. also Monti (R. C.), The Dido Episode And The Aeneid, Leiden, E. J. Brill (1981) p. 12.

(2) cf. Segal, ibid. p. 17.

وقد ذهب جون هانسون *John Hanson* إلى أن بلاوتوس يصبغ الديانة الرومانية بصبغة مادية قلما وجدت عند أى مؤلف لاتينى آخر حيث لا تتوقف شخصياته عند حد الهرطقة غير المباشرة وإنما يصلون إلى حد سب الآلهة أنفسهم. لكن عند ترينتيوس وعلى سبيل المثال فى مسرحية "الأخوان" *Adelphoe*، على سبيل المثال، لا يوجد أى احتقار للآباء ولا ازدراء للتقوى، حيث يتحدث الشاب أيسخينوس *Aeschinus* لوالده أمام محبوبته حديثاً مختلفاً:

Di me, pater,
omnes oderint, ni magis te quam oculos nunc
amo meos.

"من الممكن أن تكرهنى الآلهة إذا لم أحبك يا أبى أكثر من عينى".(١)

لكن لماذا صور بلاوتوس الأبناء فى مسرحياته يحتالون لسرقة أموال آبائهم؟

إن بلاوتوس فى الواقع يصور مجتمعاً غير رومانى أو هو بمعنى آخر يعكس أحداثاً صورتها الكوميديا الحديثة التى ترجم عنها.

وقد قارن الشاعر أنيوس فلوروس *Annius Florus* بين أخلاق الرومان وأخلاق غيرهم، وخاصة الإغريق، فتحدث قائلاً:

Sperne mores transmarinos, mille habent offucias.
cive Romano per orbem nemo vivit rectius:
quippe malim unum Catonem quam trecentos Socrates.

"تجنب أخلاق شعوب ما وراء البحار، إنهم يمتلكون ألف خدعة وخدعة.
لا يوجد إنسان فى هذا العالم أكثر استقامة من المواطن الرومانى:

حقاً إننى أفضل كاتو واحد على ثلاثمائة سقراط".(٢)

(1) Terent. Adelph. 701-703; cf. also Hanson (J. A.), "Plautus as a Source Book for Roman Religion", The American Philological Association, Edited by Donald W. Prakken, Vol. XC (1959), pp. 50-51.

(2) Anthologia Latina 250 ed. 2 Riese apud Segal ,Roman Laughter… note 69 p. 186 .

وقد تحدث فيرجيليوس أيضاً عن أخلاق الإغريق وذكر أنهم مخادعون مثل سينون *Sinon* الذى خدع الطرواديين بدموعه المزيفة:

Talibus insidiis periurique arte Sinonis
credita res, captique dolis lacrimisque coactis,
quos neque Tydides nec Larissaeus Achilles,
non anni domuere decem, non mille carinae.

"بمثل هذه الحيل وبفن سينون الحانث صدقنا الرواية وخدعنا
بألاعيبه ودموعه المصطنعة، نحن الذين لم يخضعنا ابن
تيديوس (ديوميديس) ولا أخيليوس اللاريسى (الثيسالى)
ولا عشر سنوات ولا ألف سفينة".

ولان الطرواديين كانوا يجهلون جرائم الإغريق ومكرهم فقد كان من السهل خداعهم:

ignari scelerum tantorum artisque Pelasgae.(1)

وكلمة *scelus* التى وردت هنا فى هذا البيت تشير إلى ما هو ضد التقوى *antipietas*، وهو المعنى الذى استخدم عند بلاوتوس أيضا فى مسرحية *Bacchides* حيث يتحدث العجوز الأثينى نيكوبولوس *Nicobulus* إلى باكخيس *Bacchis* الأثينية فيقول:

Abin a me scelus

"نيكوبولوس: ابتعدى عنى أيتها المرأة الفاجرة.

فترد عليه قائلة:

Sine, mea pietas, te exorem.

باكخيس: "دعنى، يا حبيبى، أتوسل إليك.(١)

وقد عاش أنيوس فلوروس فى القرن الثانى الميلادى وكان صديقاً للإمبراطور هادريانوس وكتب محاورة بعنوان: Vergilius orator an poeta لم تصل كاملة... cf. OCD. s. v. Florus .

(1) Verg. A. ii. 195-198; ii. 106.

وهو ينبه فى موضع آخر (ii. 65-66) إلى خدع الإغريق وجرائمهم فيقول:

accipe nunc Danaum insidias et crimine ab uno disce omnis.

"استمع الآن إلى خدع الدانائيين (الإغريق) وأعرف من جريمة واحدة كل الجرائم".

وهنا، عند بلاوتوس، وبالتحديد فى *mea pietas*، استخدمت كلمة *pietas* لتشير إلى عاطفة الحب، وهى واحدة من المعانى أو الاستخدامات الكثيرة التى وردت فى المصادر، حيث ورد هذا المعنى أيضاً عند فيرجيليوس فى البيتين ٦٨٧-٦٨٨ من الكتاب السادس من الإنيادة المشار إليهما آنفاً.

وإذا كان هذا هو أحد المعانى المستخدمة للبيتاس *pietas* فما هى المعانى الأخرى التى استخدمت فيها هذه الكلمة فى المصادر اللاتينية وفى الإنيادة بوجه خاص؟

لقد استخدمت *كلمة pietas* فى المصادر المختلفة لتعنى:

١ . التقوى والورع أو الإحساس بالواجب تجاه بعض الأفراد أو الدولة أو الآلهة، وهذا هو الاستخدام الشائع.

٢ . العدالة والصداقة والشفقة والرحمة أو أعضاء الإنسان المختلفة أو طقس دينى.

وفيما يتعلق بالاستخدام الأول فقد ورد عند بلاوتوس فى مسرحية "الدراهم الثلاثة" *Trinummus* لتعنى احترام الأب أو الإحساس بالواجب نحوه وذلك فى حديث فيلتو *Philto* العجوز إلى ليسيتيليس *Lysiteles* الشاب الأثينى:

feceris par tuis ceteris factis,
patrem tuom si percoles per pietatem.

"سوف تعيش وفق ما قدمت يداك إذا أحسست بالواجب نحو والدك"

وقد سبقت الإشارة أيضاً إلى أن هذه الكلمة وردت عند بلاوتوس أيضاً فى مسرحية بسيودولوس بيت ١٢٢ لتعنى الإحساس بالواجب نحو الأم:

pietatis causa - vel etiam matrem quoque.(2)

(1) Plaut. Bacch. 1176-77; cf. also Hanson, Plautus as a Source Book for Roman Religion ….. p. 91.

(2) Plaut. Trin. 280-81.

وفى موضع آخر عند بلاوتوس استخدمت الكلمة لتعنى إخلاص أو وفاء الزوجة لزوجها، وذلك عندما يتحدث عن إخلاص أختين نحو زوجيهما الغائبين:

nostrum officium
nos facere aequomst,
neque id magis facimus
quam nos monet pietas.

"من الصواب أن نؤدى واجبنا
ولا نفعل أكثر مما يطلبه
منا إخلاصنا (ولاؤنا)".(١)

ويتكرر هذا الاستخدام أيضاً عند أوفيديوس فى عمله *Metamorphoses* "التناسخات" على لسان بروكنى *Procne* ابنة باندیون *Pandion* وزوجة تيريوس *Tereus*:

scelus est pietas in coniuge Tereo
"إن الإخلاص (الوفاء) لزوج مثل تيريوس يعد جريمة".(٢)

وعند شيشرون نجد أن هذه الكلمة استخدمت لتعنى الإحساس بالواجب تجاه الوالدين:

In communione autem quae posita pars est, iustitia dicitur, eaque erga deos religio, erga parentes pietas.

"لكن الجانب الذى يكون متأصلاً فى المجتمع هو ما يسمى بالعدالة *iustitia*، وما يعبر عن الشعور بالخشية من الآلهة يعرف بالديانة *religio*، وما يعنى الإحساس بالواجب تجاه الوالدين يعرف بالبيتاس *pietas*".(٣)

وفى دفاعه عن مورينا *Murena* يذكر شيشرون أن خدمة هذا الشخص فى جيش والده كانت نموذجاً فريداً للبيتاس:

(1) Plaut. St. 5-8; cf. also Hanson, ibid pp. 89, 91.

(2) Ov. Met. 635.

(3) Cic. De Part. Orat. xxii. 78.

patre imperatore libentissime meruisse pietatis,
"لقد خدم كجندى تحت قيادة والده (كدليل) على إحساسه بالواجب نحو والده"

وقد قدم بومبيوس أيضاً نموذجاً للبيتاس *pietas* بخدمته فى جيش والده بومبيوس سترابو *Pompeius Strabo*.(١)

وفى دفاعه عن بالبوس *Balbus* أيضاً يعدد شيشرون من بين صفاته إحساسه بالواجب نحو الدولة *pietas in rem publicam*:

haec sunt propria Corneli, pietas in rem publicam nostram,(2)

واستخدمها أيضاً لتعنى العدل أو الإنصاف مع الآلهة:

est enim pietas iustitia adversum deos.(3)

أو ما ينبغى فعله نحو الوطن والوالدين ومن يرتبطون برباط الدم من الأقارب:

religionem eam quae, in metu et caerimonia deorum sit appellant, pietatem quae erga patriam aut parentes aut alios sanguine coniunctos officium conservare moneat,

"إن كلمة *religio* تعنى الخوف وتوقير الآلهة والبيتاس *pietas* تعنى الإحساس بالواجب نحو الوطن أو الوالدين أو حيال الآخرين المرتبطين بالدم".(٤)

ولان الرومان اعتقدوا أن الآلهة أعضاء فى المنزل ويعيشون فى الوطن كانت البيتاس تعبر عن علاقة الإنسان بالآلهة، وأن من التقوى أن يكون الشخص على علاقة سليمة ويتصرف على نحو سليم حيال أعضاء أسرته.(٥)

(1) Cic. Pro Muren. v. 12; cf. also Steel (C. E. W.), Cicero, Rhetoric and Empire, Oxford University Press, First Published (2001) pp. 139, 142.

(2) Cic. Pro Balbo, 6. 102 (TlG.); cf. also Steel, ibid note 81, p. 103 and pp. 99, 103.

(3) Cic. Nat. D. 1. 116.

(4) Cic. De Invetione, 2. 66. 1-4 (TLG.).

(5) cf. Bailey (C.), Religion In Virgil, Oxford At The Clarendon Press (1935) p. 8.

وهى لهذا تعنى أيضاً الانسجام أو التوافق مع القانون الإلهى *ius divinum* أو الإنجاز الصحيح للطقوس والشعائر المطلوبة من خلال عبادة الآلهة، وأى زلة أو قصور فى إنجاز هذه الطقوس لابد أن يكفر عنه *piare* بقربان تكفير خاص *piaculum* كان تأثيره كفيل بأن يحضر الإنسان مرة ثانية إلى حظيرة التقوى *pietas*.(١)

ولهذا فإن كلمة *impius* تعنى الشخص الذى يحطم عن عمد القانون الإلهى *ius divinum* وسلام الآلهة *pax deorum* وبالتالى لا يفيده أى تكفير، وإن *pius*، كما فى حالة آينياس، هو الإنسان الذى يعرف مشيئة الآلهة ويبدو هذا واضحاً فى سلوكه وتصرفه، وإذا استخدمت مع كلمة *bellum* لتصبح *pium bellum* فإنها تشير إلى حرب معلنة حدثت وفقاً لمبدأ القانون الإلهى *ius divinum*.(٢)

لكن فى علاقاته مع الآلهة كمواطن سلم الشخص الرومانى نفسه لهيئة كهنة مدربة وموثوق بها عرفت أسرار الطقس وكل ما يدخل تحت القانون الإلهى، وعن طريق الطاعة العمياء لهذه الهيئات بدأ يقل الشعور بالخوف الذى كان بداخله.(٣)

إذاً استخدمت كلمة *pietas* فى المصادر المختلفة لتعنى احترام الأب أو الأم أو ولاء الزوجة لزوجها، هذا بالإضافة إلى تقوى الآلهة وعبادتها. إنها فى الواقع اصطلاح خلقى جامع.

والمشهد الذى ينقل بحيوية أكثر كل ما يتضمنه هذا الاصطلاح من معنى هو منظر خروج آينياس ورفاقه من طروادة التى تحترق بمساعدة أمه فينوس *Venus*. إن آينياس التقى *pius*

(1) cf. Fowler (W. W.), The Religious Experience of The Roman People from The Earliest Times To The Age of Augustus, London. (1933) p. 462.

(2) cf. Fowler, The Religious Experience of The Roman People …p. 462.

وعند الكاتب المسيحى لاكتانتيوس Lactantius لا تعنى كلمة pietas شيئاً آخر غير معرفة الإله:

pietas nihil aliud est quam Dei notio.

Lactantius v (de iustitia) ch. 10 apud Fowler, ibid p. 463.

(3) cf. Fowler, p. 227.

وقد كانت التضحية بالنسبة للشخص الرومانى فى الواقع تتطلب عملاً متعلقاً بالبيتاس pietas لكن ليس بلا مقابل، لأن المضحى انتظر شيئاً ما فى المقابل لإظهار تقواه نحو محسن عليه من السماء ....

cf. Rose (H. J.), Ancient Roman Religion, London (1948) pp. 17, 87.

Aeneas يمسك فى يده اليمنى ابنه أسكانيوس *Ascanius*، الذى يتمثل فيه مستقبل روما، ويحمل فى نفس الوقت على ظهره والده العجوز أنخسيس Anchises مع اللاريس *Lares* (الآلهة التى تمثل أرواح الأسلاف) والبيناتيس *Penates* (الآلهة الحارسة للمخزن)، وخلف آينياس بخطوات قليلة كانت تمشى زوجته كريوسا *Creusa*، النموذج الرومانى الأصيل لسيدة رومانية، خاصة عندما يظهر طيفها لآينياس، زوجها العزيز *dulcis coniunx*، ويطلب منه أن يذعناً معاً لحكم جوبيتر والقدر وأن يحرص على حب ابنهما:

quid tantum insano iuvat indulgere dolori,
o dulcis coniunx? non haec sine numine divum
eveniunt; nec te comitem hinc portare Creusam
fas aut ille sinit superi regnator Olympi.
……..
iamqe vale et nati serva communis amorem.

"ماذا يفيد أن تستسلم للحزن الجنونى إلى هذا الحد الكبير يا زوجى العزيز؟
إن هذه الأمور لا تحدث دون إرادة الآلهة، ولن يقدر لك أن تصطحب
زوجتك كريوسا معك، ولن يسمح حاكم الأولمبوس الشاهق نفسه بهذا …
والآن وداعاً وحافظ دائماً على حب ولدنا".

وتشبه كلمات كريوسا الرقيقة هنا إلى حد كبير تلك الكلمات التى يجريها بروبرتيوس *Propertius* على لسان كورنيليا *Cornelia*، وهى أيضا نموذج يحتذى للزوجة الرومانية، عندما تخاطب زوجها من داخل القبر:

nunc tibi commendo communia pignora natos:
haec cura et cineri spirat inusta meo.

"والآن أعهد إليك يا باولوس[▪] *Paulus* بأطفالنا (وهم)

(▪) وقد عهدت كورنيليا بأبنائها إلى زوجها باولوس الذى كان رقيباً فى عام ٢٢ ق.م.:
cf. Propertius, (L. C. L. 1967) note 2, p. 335; cf. also Segal, Roman Laughter … p. 21 and Gemino Abad, Virgil's Aeneas: The Roman Ideal of Pietas, (October 2003) p. 5 (https//mercury. smu. edu. Sg/ rsrchpubupload/ 1807virgil.Phf).

الالتزام المشترك بيننا، وهذا الاهتمام يبقى شديداً داخل قبرى"

حيث تمثل حالة كورنيليا هذه نوعاً من البيتاس *pietas* كما هو الحال بالنسبة لوضع المرأة الرومانية النموذجية الذى تجلى فى شخص كريوسا أيضاً.(١)

وقد ناقش فاجينفورت *Wagenfoort* الفقرات التى تتضمن تصور شيشرون عن البيتاس *pietas* وخرج بنتيجة تقول أنه مع شيشرون طرأ تغير ملحوظ على تصور البيتاس، فلم تعد الكلمة تعنى فى المقام الأول علاقة الود نحو المدينة والآباء والأصدقاء وإنما نحو الآلهة أيضاً، وأن تصور البيتاس الشائع فى الإنيادة والذى يشير إلى واجب الفرد نحو الإله وإغراءه أن يخضع اهتماماته من اجل صالح الدولة كان فيرجيليوس قد أخذه عن شيشرون.(٢)

وإذا كان هذا الرأى صحيحاً فى جزئه الأول إلا أنه يصعب التسليم بأن فيرجيليوس قد أخذ تصوره عن البيتاس فى الإنيادة عن شيشرون، ذلك لأن فيرجيليوس رجل مثقف قرأ كتب الأقدمين والمعاصرين له وعرف جيداً تاريخ الرومان وديانتهم، هذا فضلاً عن أنه كان يعكس فى الإنيادة طموحات الرومان وآمالهم وديانتهم منذ ما اصطلح على تسميته بعصر ساتورنوس وحتى العصر الذى عاش فيه، ولا يعقل أن يكون قد عرف هذا التصور عند شيشرون دون سواه خاصة وأن

لقد قيل أيضاً أن آينياس خان وطنه بهروبه من طروادة مع بعض الرفاق وعقد معاهدة مع جيش الأعداء لتسهيل عملية هروبه، لكن هذا يتناقض مع الرواية التى شاعت فى العالم القديم وذكرها فيرجيليوس والتى تتحدث عن تقوى آينياس التى تمثلت بوضوح فى حمله لأبيه وعدم تركه آلهة البيناتيس. ففى ليلة سقوط طروادة ظهر هيكتور لآينياس فى الحلم ونصحه أن يهرب من طروادة وعهد إليه بآلهة البيناتيس وأشياء أخرى مقدسة:

sacra suosque tibi commendat Troia penatis
hos cape fatorum comites, his moenia quare
(Verg. A. ii. 293-94)

"إن طروادة تعهد إليك بمقدساتها وآلهتها (البيناتيس): فلتتخذهم رفاقاً لك فى مصائرك، ولتبحث لهم عن أسوار"

cf. also Satoshi Iwaya, Legend And Prophecy in The Aeneid II and III, (2007), p. 3. (http://www.bun.Kyoto-u.ac.Jp/classics/CLST/clst3.html).

(1) Verg. A. ii. 776-79, 789; Propert. iv. xi. 73-74.

(2) cf. Wagenvoort, Studies in Roman Literature, Culture and Religion … note 1, p. 44 and note 1, p. 82.

فيرجيليوس قد توسع فى استخدام هذه الكلمة أكثر من سواه، وهو ما سوف نتعرض له بوضوح أيضاً فى الصفحات التالية.

وقد استخدمت كلمة *pietas* عند هوراتيوس لتعنى الصلاة من أجل تأخير الشيخوخة وصدمة الموت الذى لا مفر منه:

Eheu fugaces, Postume Postume,
labuntur anni, nec pietas moram
rugis et instanti senectae
adferet indomitaeque morti.

"واأسفاه يا بوستوموس، بوستوموس، إن السنين
تمر سريعة ولا تجلب الصلاة أى تأخير لتجاعيد
الوجه والشيخوخة الوشيكة والموت الذى لابد منه".(١)

وقد وسع فيرجيليوس من استخدام كلمة *pietas* فى الإنيادة لتعنى المعانى التى ذكرناها ومعانى أخرى. لقد وردت عند فيرجيليوس لتعنى "العدالة" حيث يصل المتحدث إلى درجة من الإحساس بالتناقض أو التعارض أو الحيرة فيما يحدث ويفترض أنه توجد آلهة تحترم العدالة والتقوى، وهو ما يحدث عندما يراقب بريامـوس بيرهوس *Pyrrhus* (نيوبتوليموس *Neoptolemos*)، ابن أخيليوس، وهو يقتل ابنه أمام عينيه فيقول:

‘‘at tibi pro scelere, exclamat, pro talibus ausis
di, si qua est caelo pietas, quae talia curet,
persolvant grates dignas et praemia reddant
debita, qui nati coram me cernere letum
fecisti et patrios foedasti funere vultus.

"إن (بريامـوس) يصرخ قائلاً: لكن من أجل جريمتك ومن أجل هذه الأفعال،
إذا كان هناك أى عدالة فى السماء تهتم بمثل هذه الأمور،
ليت الآلهة تجزيك الجزاء العادل وتقدم لك المكافئات اللازمة،
أنت الذى جعلتنى أشاهد موت ابنى بعينى ولوثت قسمات وجه أبويه بموته"

(1) Hor. Od. ii. 14; cf. also Wagenvoort, ibid. p. 83.

أو تصلى ديدو من أجل الانتقام فى ثورة غضبها فتقول:

spero equidem mediis, si quid pia numina possunt,
supplicia hausurum scopulis et nomine Dido
saepe vocaturum. ……

"إنى آمل حقاً، إن كانت الآلهة العادلة تستطيع هذا،

أن تلقى حتفك وسط الصخور وأن تنادى دائماً باسم ديدو"

أو عندما يرى آينياس السفن وقد اشتعلت فيها النيران فيصلى قائلاً:

Iuppiter omnipotens, si nondum exosus ad unum
Troianus, si quid pietas antiqua labores
respicit humanos, da flammam evadere classi
nunc, pater, et tenuis Teucrum res eripe leto;

"جوبيتر القادر على كل شئ، إذا لم تكن قد كرهت الطرواديين

حتى آخر رجل، وإذا كانت عدالتك الأزلية تهتم بمتاعب البشر،

فلتجنب الآن أسطولنا النيران، أيها الأب،

ولتنقذ من بين الدمار أملاك التيوكريين القليلة".

وفى كل هذه الأبيات ضمنت أيضاً فكرة أن الآلهة سوف تكشف تقواها *pietas* للبشر نظير ما يبديه البشر من اهتمام حيال الآلهة.(١)

وفى هذه الأبيات أيضاً يستغيث الناس بتقوى الآلهة لإظهار الحب والتقوى اللذين تطلبهما الآلهة، فيصلى برياموس هنا للانتقام من بيرهوس، وديدو تأمل، إذا لم تجد القوى العادلة نفعاً، أن يعاقب آينياس على خيانته، ويصلى آينياس لجوبيتر ليعفو عن أسطوله. فهنا تتمثل الفكرة بوضوح فى أنه يوجد شئ ما تدين به الآلهة للبشر فى مقابل تقواهم.(٢)

(1) Verg. A. ii. 535-39; iv. 282-84; v. 687-90; cf. also Gordon Williams,Technique and Ideas in The Aeneid, Yale University Press, New Haven and London, (1983) pp. 212-213.

(2) Bailey, Religion in Virgil… pp. 84-85.

وقد أغضب منظر رحيل آينياس ديدو إلى حد إصدارها الأوامر بمهاجمته:

وبالإضافة إلى استخدام هذه الكلمة لتعنى العدالة فقد استخدمت عند فيرجيليوس أيضاً لتشير إلى علاقة الإنسان بالآلهة، حيث استخدمت الصفة *pius*، المرتبطة بكلمة *pietas*، كلقب للشخص الذى يتنبأ أو الذى هو بالضرورة وسيط وعلى علاقة مباشرة بالإله، فالذين كانوا يتنبئون بكلمات جديرة بفويبوس أبوللو وصفوا بأنهم أتقياء:

quique pii vates et Phoebo digna
"(وهنا وجد) العرافون الأتقياء الذين تحدثوا عما هو جدير بفويبوس"

والذين يملكون منازل فى حقول السعداء فى العالم السفلى وماتوا بعد حياة حافلة بالتقوى وصفوا بالأتقياء أيضاً، فيظهر أنخسيس فى الحلم لآينياس ويخبره أنه يسكن الآن بين الأتقياء المخلصين فى الإليسيوم:

…….. non me impia namque
Tartara habent, tristes umbrae, sed amoena piorum
concilia Elysiumque colo,……
"ذلك لأن تارتاروس الكئيبة وأشباحها الحزينة لا تضمنى
وإنما أسكن فى مجتمع الأتقياء السعيد وفى الإليسيوم"

ويعطى فولكانوس الأتقياء مكانهم الخاص على درع آينياس جنباً إلي جنب مع كاتو Cato رئيسهم فى العالم السفلى:

secretosque pios, his dantem iura Catonem.
"(لقد صور على الدرع) الأتقياء على انفراد وكاتو وهو يشرع لهم القوانين"

ويصلى آينياس من أجل أن يكافئ من أى آلهة تهتم بالأتقياء:

di tibi, si qua pios respectant numina, si quid
usquam iustitia est et mens sibi conscia recti,
praemia digna ferant;
"ليت الآلهة تمنحك هدايا قيمة، إذا كانت ثمة أرواح تنظر
بعين الاعتبار إلى الأتقياء، وإذا كانت توجد عدالة

Cf. also Monti, The Dido Episode … p. 66.

فى أى مكان وعقل عارف بالصواب"

ويصلى أنخسيس للآلهة ليحفظوا الأتقياء من الهاربيات:

"di, prohibete minas; di, talem avertite casum
et placidi servate pios"!

"أيتها الآلهة، فلتمنعوا عنا تهديداتكم ولتجنبونا مثل
هذه الكوارث ولتحفظوا بوقاركم الأتقياء"(١)

وقد وردت كلمة *pietas* فى الإنيادة أيضاً لتعنى عاطفة الحب. فقد اشتهر نيسوس *Nisus* بعاطفته التى تنم عن تقوى تجاه الصبى يوريالوس *Euryalus*:

Euryalus forma insignis viridique inventa,
Nisus amore pio pueri;

"كان يوريالوس مشهوراً بوسامته ونضارة شبابه ونيسوس بحبه الرقيق للصبى".(٢)

وقد خوطب أنخسيس من هيلينوس العراف بالعبارة الآتية:

vale, ait, o felix nati pietate.

"إنه يقول: فلتتقدم أيها السعيد بحب ابنك"

وعندما تسمع أم يوريالوس نبأ موته تصرخ منادية الروتوليين قائلة:

figite me, si est pietas,

---

(1) Verg. A. vi. 662; v. 733-35; viii. 670; i. 603-605; iii. 265-66;

ويتكرر استخدام الكلمة فى نفس المعنى فى الإنيادة (A. i. 253) عندما تخاطب فينوس جوبيتر قائلة: *hic pietatis honos*? "هل هذه هى المكافأة الواجبة للتقوى"، وعندما يصلى أنخسيس لجوبيتر ليرسل علامة يخبره من خلالها عما إذا كان سيترك طروادة أم لا فيقول: si *pietate meremur* "إذا كنا نستحق ذلك بتقوانا" (A. ii. 69):

cf. also, Bailey, ibid, pp. 81-82.

(2) Verg. A. v. 295-96.

ونيسوس ويوريالوس متسابقان طرواديان. وكان نيسوس أكبر الإثنين سناً بينما كان يوريالوس فى نضرة الشباب ... أنظر فيرجيليوس، الإنيادة، ترجمة: لفيف من العلماء، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٧١)، ملحوظة رقم ٣٦، ص ٢٧١. وقد رجعنا إليه أيضاً فى ترجمة: هذين البيتين ص ٢٤١.

"اقتلونى إن كانت عندكم رحمة"،

حيث يمكن أن تعبر الكلمة هنا عن حب الأم أو المشاعر الطبيعية.(١)

لقد استخدمت هنا كلمة *pietas* مرتبطة بالفعل *miserere* الذى ورد فى البيت ٤٩٥:

aut tu, magne pater divum, miserere,

والذى يعنى "يشفق على" حيث تسأل ام يوريالوس الروتوليين أن يقتلوها بعيداً عن معنى الواجب نحو الآلهة أو الوطن أو الإخلاص والولاء لذوى القربى حيث يظهر هنا فيرجيليوس لا يستخدم كلمة *pietas* فى معناها الكلاسيكى المعروف.(٢)

إن مأساة آينياس، كما يقول جونسون *Johnson*، تكمن على نحو دقيق فى أنه رجل حساس وعنده شفقة استدعى ليعمل فى عالم نحى فيه الإحساس والشفقة جانباً.(٣)

وتتجلى هذه الشفقة بصورة واضحة فى محاولته التخفيف عن ديدو فى الكتاب الرابع من الإنيادة:

> At pius Aeneas, quamquam lenire dolentem
> solando cupit et dictis avertere curas,
> multa gemens magnoque animum labefactus amore
> iussa tamen divum exsequitur classemque revisit.
>
> "لكن رغم أن آينياس التقى رغب بعزائه أن يخفف من حزنها
> وأن يجنبها المتاعب بهذه الكلمات إلا أنه حزن حزناً شديداً
> واهتز من أعماقه بهذا الحب العظيم واتبع أخيراً
> أوامر الآلهة وعاد إلى أسطوله".

(1) Verg. A. iii. 480; ix. 493; cf. also Bailey, Religion in Virgil ….. p. 82.

(2) cf. Johnson (W. R.), "Aeneas and The Ironies of Pietas" CJ vol. 60, no. 8, (May 1965), p. 360.

(3) Johnson, ibid, p. 360.

لكن تخليه عن ديدو ليس إنكاراً للحب، كما يقول *Poschl*، وإنما هو استجابة لأمر الآلهة واضطر أمام واجبه الدينى حيال الآلهة وذريته أن يهمل واجبه الإنسانى نحو ديدو.(١)

ويشبه هذا أيضاً موقف آينياس من لاوسوس *Lausus* ابن ميزنتيوس *Mezentius* الإتروسكي، حليف تورنوس ملك الروتوليين، عندما يتجرأ الأخير (لاوسوس) ويهاجم آينياس فيقول له آينياس:

fallit te incautum pietas tua.
"إن ولاءك (لأهلك) يجعلك عديم الحذر".

لكن عندما يقتله ويشاهده وهو يحتضر يشفق عليه لأنه يتذكر الأبوة وما تحمله من معنى، وأن هذا الذى قتله كان من الممكن أن يكون ابنه أسكانيوس فى مكانه، ولأن لاوسوس أيضاً واجه الموت عندما أتى ليساعد أباه ميزينتيوس:

et mentem patriae subiit pietatis imago.
"وإن صورة البر بالأب سيطرت على مشاعره".(٢)

لقد فعل آينياس واجبه لكن هذا جلب له التعاسة.

لكن هذا النوع من البيتاس *pietas* هزم فى آخر الإنيادة عندما يقتل آينياس تورنوس بسبب عداوة آينياس لهذا الملك وبسبب قتل تورنوس لبالاس *Pallas* ابن صديقه ايفاندروس *Evandrus* وخاصة عندما يرى تورنوس وهو يلبس أسلاب بالاس وتنفيذاً لأمر القدر أيضاً:

hoc dicens ferrum adverso sub pectore condit fervidus.
"وبينما آينياس يتحدث أغمد سيفه فى صدر (تورنوس) وهو يغلى من الغضب".(٣)

---

(1) Verg. A. iv. 393-396; cf. also Johnson …p. 361 and Poschl, The Art of Vergil Tr. Gerda Seligson (Ann Arbor 1962), 44 apud Johnson, note 2, p. 361.

(2) Verg. A. x. 812, 824; cf. also P. Vergili Maronis Liber Quartus, Edited with A Commentary by Austin (R. G.), Oxford at the Clarendon Press, First published (1966), reprinted with corrections in (1966) note 393. p. 122.

(3) Verg. A. xii. 950.

وإن تورنوس بالنسبة لآينياس يرمز إلي كل خصام وكل غضب وكل ما هو شيطانى، وهو نفس ما ترمز إليه جونو عند فيرجيليوس في الإنيادة في الكتاب الأول فى الأبيات من ١١.٨ التى تفيض سخرية وغضباً من هذه الإلهة:

وفى أمثلة عديدة فى الإنيادة تتضمن كلمة *pius* معنى التقوى أو الورع تجاه الآلهة وعاطفة الحب الموجهة نحو الأسرة أو الأصدقاء أو الدولة، فالرجل التقى هو الذى يحافظ على التزاماته صوب كل هؤلاء وينجح آينياس فى الاحتفاظ بهذا النموذج الاسمى على الأقل فى النصف الاول من الإنيادة حيث يذكر أينياس كرجل التقوى *pietas* وكوسيط للقدر فى بداية الملحمة فى الكتاب الأول الأبيات من ٣١.١، ويبرز هذا أيضاً من وقت لآخر فى شكل واضح أثناء تبادل الحديث بين فينوس وجوبيتر فى الكتاب الأول الأبيات من٢٢٣.٢٩٦.(١)

إن آينياس، كما يذكر فولر *Fowler*، هو نموذج للتقوى الرومانية أشتهر بتقواه فى ملحمة الإنيادة:

Troius Aeneas, pietate insignis et armis,
ad genitorem imas Erebi descendit ad umbras.
"إن آينياس الطروادى المشهور بتقواه يهبط إلى أبيه
فى الأماكن الظليلة فى أعماق العالم السفلى".(٢)

Musa, mihi causas memora, quo numine laeso
quidve dolens regina deum tot volvere casus
insignem pietate virum, tot adire labores
impulerit. tantaene animis caelestibus irae?
"ربة الشعر، حدثينى عن الأسباب، كيف أصيبت ألوهيتها
(الوهية جونو) بالأذى؟ ولماذا دفعت ملكة الآلهة الحزينة
برجل مشهور بتقواه ليجابه مثل هذه الصعاب؟
هل هذا الغضب الكبير كامن فى أفئدة الآلهة السماوية"؟
cf. also Iohnson, pp. 362, 363.

(1) cf. Monti, The Dido Episode …… p. 70.

(2) Verg. A. vi. 403-404; cf. also Fowler, The Religious Experience of The Roman people …. P. 412.

يعنى النموذج الرومانى للبيتاس الذي يجسده آينياس مراعاة ما هو واجب أو مستحق للآلهة والناس وامتثال الشخص لأمر القدر. وقد كانت عملية إعادة بناء المعابد التى تهدمت بسبب الحروب الأهلية التى تلت اغتيال يوليوس قيصر فى عام ٤٤ ق.م. والتى قام بإعادة بناءها أوغسطس بمثابة تنفيذ لمقتضيات هذه البيتاس.
cf. Gemino Abad, Virgil's Aeneas: The Roman Ideal Pietas ……p. 1.

وهو، أى آينياس، بمقارنته بهيكتور عظيم فى تقواه:

ambo animis, ambo insignes praestantibus armis,
hic pietate prior.

"كلاهما (آينياس وهيكتور) يعرف بشجاعته وكلاهما يتميز بأسلحته،
ولكن آينياس كان يفوقه فى التقوى".(١)

ومن الممكن أن تظهر الآلهة تقوى أيضاً، وهو ما يحدث فى مثال واحد تنصب فيه الفكرة أساساً على القياس على الشخصية الإنسانية، فأبوللو تقى *pius* لأنه من أجل أمه ليتو *Leto* ثبت جزيرة ديلوس التى تطفو:

sacra mari colitur medio gratissima tellus
Nereidum matri et Neptuno Aegaeo,
quam pius arquitenens oras et litora circum.
errantem Mycono e celsa Gyaroque revinxit
immotamque coli dedit et contemnere ventos.

"فى وسط البحر تقبع أرض مقدسة عزيزة جداً على
أم الحوريات ونبتونوس الإيجى، والتى ربطها رامى
السهام (أبوللو) التقى بمدينة موكونوس الشامخة
وجياروس وجعلها تسكن وتجابه الرياح".(٢)

وقد لقب أبوللو بالتقى هنا لأنه كان قد ولد فى جزيرة ديلوس واحتفظ لها بالحب والعرفان بالجميل.(٣)

(1) Verg. A. xi. 291-92.

وانظر أيضاً: فيرجيليوس، الإنيادة، ترجمة لفيف من العلماء، الجزء الثانى، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٧٧)، وقد رجعنا إليه فى ترجمة هذين البيتين، ص ٢٥١.

(2) Verg. A. iii. 73-77; cf. also Bailey , Religion in Virgil ……. P. 84.

(3) Page (T. E.), P. Vergili Maronis Aeneidos Lib. iii London. (1941) p. 75.

وثمة استخدامات أخرى قليلة للقب *pius* ، المرتبط بكلمة *pietas* ، فقد استخدم على نحو طبيعى ليعنى أعضاء الجسم أو أعضاء شخص تقى. ومن الأمثلة على ذلك عندما يتحدث بوللودوروس *Polydorus* ابن برياموس إلى آينياس من داخل قبره:

parce pias scelerare manus.
"لا تقبل أن تدنس يديك الطاهرتين"

وتبتهل ديدو إلى الآلهة وهى مقبلة على الانتحار بيدين ورعتين:

ipsa mola manibusque piis altaria iuxta
unum exuta pedem vinclis, in veste recincta,
testatur moritura deos et conscia fati
sidera;
"إن ديدو وقد خلعت إحدى قدميها من صندلها كانت تستغيث بالآلهة
وبالنجوم العارفة بالقدر وهى مقبلة على الموت بالقرب من المذبح
بقربانها المملح ويديها الورعتين وثوبها المتهدل".

ويتحدث ديفوبوس *Deiphobus* ابن برياموس فى العالم السفلى إلى آينياس بفم طاهر وهو يخاطب الآلهة:

di, talia Grais
instaurate, pio si poenas ore reposco.
"أيتها الآلهة، فلتصيبوا الإغريق بمثل هذه المصائب،
إذا كنت أطلب العقاب بفم طاهر"

وتتحدث جونو إلى جوبيتر عن تورنوس ذى الدم الطاهر:

nunc pereat Teucrisque pio det sanguine poenas.
"دعه يموت ويكفر عن جرمه فى حق الطرواديين بدمه الطاهر".(١)

(1) Verg. A. iii. 42; iv. 517-19; vi. 529-30; x. 617.

وهناك حالتان تختصان بالطقس، الأولى تتعلق بالعصابة المقدسة التى كانت تلف حول رأس المربية:

sic veniat, tuque ipsa pia tege tempora vitta .
"هكذا دعيها تأتى ولتلفى رأسك بعصابة مقدسة"

حيث تتحدث هنا ديدو إلى مربيتها وتطلب منها أن تحضر أختها أنا Anna وأن تلف المربية رأسها بهذه العصابة.

والحالة الثانية تتعلق بوجبة مقدسة مصنوعة من الحنطة استخدمت فى التضحية:

Pergameumque Larem et canae penetralia Vestae
Farre pio et plena supplex veneratur acerra .
"لقد قدم (آينياس) التبجيل للار البرجامي وقدس أقداس فستا الوقورة
مع وجبة مقدسة مصنوعة من الحنطة ومبخرة مليئة بالبخور".(١)

إذا استخدمت كلمة *pietas* فى معانى عدة عند الأدباء الرومان واستخدم فيرجيليوس هذه المعانى وأضاف إليها معانى أخرى.

وقد استخدمت كلمات أخرى فى المصادر اللاتينية وعند فيرجيليوس فى الإنيادة مع كلمة *pietas* أو بديلاً عنها وتحمل نفس المعنى أحياناً. ومن بين الكلمات التى ارتبطت بها هذه الكلمة، كلمة *fides*. ففى مسرحية الحبل *Rudens* وردت كلمة *fides* جنباً إلى جنب مع كلمة *pietas* لتحدد صورة الإنسان الخير:

id circo moneo vos ego haec, qui estis boni
quique aetatem agitis cum pietate et cum fide:
"ولهذه الأشياء فإنى أطلب منكم أيها الطيبون
أن تقضوا حياتكم فى صلاح ووفاء:"

(1) Verg. A. iv. 637, v. 744-45; cf. also Bailey, Religion in Virgil, p. 86.

وإذا كانت *كلمة fides* تعنى وفاء الشخص بما التزم به أو تعاقد عليه سواء فيما يتعلق بالبر بالحلف أو الوفاء بالنذر فإن البيتاس *pietas*، كما يذكر *Hanson*، يمكن أن تشير أيضاً إلى وفاء الشخص بما التزم به بالمعنى الخلقى العام دون أن يكون هناك تعاقد أو تشريع معين.(١)

وقد تميز آينياس فى الإنيادة بعدة خصائص هى عدالته *iustitia* وتقواه *pietas* واحساسه بالواجب *officium* وشجاعته *virtus*، واستخدم كل من شيشرون وفيرجيليوس الكلمتان *iustitia* و *pietas* بمعنى واحد، فيذكر شيشرون أن البيتاس *pietas* هى الإنصاف أو العدالة مع الآلهة:

est enim pietas iustitia adversum deos.

ووصف آينياس بصفات العدل والتقوى والشجاعة فى الحرب والمهارة فى استخدام السلاح:

rex erat Aeneas nobis, quo iustior alter
nec pietate fuit nec bello maior et armis.

"كان أينياس ملكاً علياً، لم يكن هناك من يفوقه فى العدل أو التقوى
أو من هو أعظم منه فى الحرب أو استخدام السلاح"(٢)

ويدل على هذا الارتباط أيضاً ما ورد فى الكتاب السابع من الإنيادة، حيث يظهر إليونيوس *Ilioneus* مرة ثانية كسفير للاتينوس *Latinus* ويصف آينياس على النحو التالى:

fata per Aeneae iuro dextramque potentem
sive fide seu quis bello est expertus et armis:

"إننى أقسم بأقدار آينياس وبيمينه القوية الذى عرفه أى شخص
بمصداقيته (صداقته) فى الحرب وفى حمل السلاح"

حيث تزكى الثقة التى يتمتع بها آينياس وشجاعته فى الحرب الطروادبين كما فعلت تقواه فى الكتاب الأول فى البيتين ٥٤٤.٥٤٥.(٣)

---

(1) Plaut. Rud. 28-29; cf. also Hanson, Plautus as a Source Book for Roman Religion ….. p. 94.

(2) Cic. Nat. D. i. 116; cf. also Monti, The Dido Episode …. P. 11;
وانظر أيضاً: فيرجيليوس، الإنيادة، الجزء الأول، ص ١٠١ وقد رجعنا إليه فى ترجمة هذين البيتين من الإنيادة.

(3) Verg. A. vii. 234-35; cf. also Monti, ibid, pp. 11-12.

وفى فقرة وردت عند شيشرون يقول فيها:

> unde enim pietas aut a quibus religio? unde ius aut gentium aut hoc ipsum civile quod dicitur? unde iustitia, fides, aequitas?
>
> "من أين يأتى حقاً إحساسنا بالواجب أو المبادئ التى يأتى منها الدين؟
>
> من أين يأتى قانون الشعوب أو ما يسمى بهذا القانون المدنى نفسه؟
>
> من أين تأتى العدالة والأمانة والمساواة"؟

يبدأ شيشرون بالبيتاس *pietas* ثم الديانة وينتقل بعد ذلك إلى العلاقات بين الناس من خلال الإشارة إلى قانون الشعوب *ius gentium* الذى كان شائعاً بين الشعوب والقانون المدنى الرومانى ثم العدالة والأمانة والمساواة، وكلها فضائل خاصة بالأفراد وذات طابع قديم.(١)

---

(1) Cic. Rep. i. ii. 2; cf. also Cicero De Republica, Edited By Zetzel (J. E. G.), Cambridge University Press, First Published (1995) note 2. 3, p. 100.

كلمة religio تعنى الشعور بالخوف والرهبة، وكان استرضاء الآلهة بكلب أحمر، وإذا اقتضى الأمر باستخدام السحر، عندما تصيب الحقول والمحاصيل آفة زراعية كالعفن الفطرى *robigo* يندرج تحت كلمة *religio* التى تعنى أيضاً "قيد أو حبل الالتزام المفروض كواجب على المواطن ويربطه بالآلهة"، وقد استخدم شيشرون هذه الكلمة فى معنى يمتد ليشمل الطقوس والعلامات التى ترسلها الطيور من خلال طيرانها وما ينطق به العرافون من نبوءات:

> Cumque omnis populi Romani religio in sacra et in auspicia divisa sit, tertium adiunctum sit si quid praedictionis causa ex portentis et monstris Sibyllae interpretes haruspicesve monuerunt,……
>
> "وأيا كان الأمر فإن ديانة الشعب الرومانى فى مجملها يمكن أن تشتمل على ثلاثة أقسام: ما يخص الطقوس وزجر الطيور، ويضاف إليهما القسم الثالث الذى يشمل كل ما يصدر عن النبوءة من نذر وأمور غريبة حذر بها مفسروا نبوءات سيبولا والعرافون الفاحصون"

Cic. Nat. D. iii. 5; cf. also Adcock, Roman Political Ideas …. p. 16 and The Cambridge Companion to The Roman Republic, Edited by Flower (H. I.), Cambridge University Press (2004), pp. 10, 179.

وعندما يذكر شيشرون كلاً من*sacra* و *auspicia* فى تعريفه للديانة فإنه يضع سلسلة واسعة من الممارسات المتنوعة المتعلقة بالديانة، وإن مزجه بين هذين الاصطلاحين يعد أمراً خاصاً بعضو فى هيئة العرافين المنوط بها مراقبة مثل هذه الأمور ……

cf. also Flower, Ibid, p. 180.

والفرق بين قانون الشعوب *ius gentium* والقانون المدنى *ius civile* هو أن الأول شائع بين كل الناس بينما الثانى رومانى صرف.(١)

وكما ارتبطت هنا كلمة *iudstitia* مع كلمة *pietas* فكذلك أيضاً ارتبطتا فى موضع آخر من نفس العمل عند شيشرون:

> sed sic, Scipio, ut avus hic tuus, ut ego, qui te genui, iustitiam cole et pietatem, quae cum magna in parentibus et propinquis, tum in patria maxima est;
>
> "سكيبيو، ليكن مثلك الأعلى جدك (سكيبيو الأكبر)
>
> مثلما أكون أنا الذى أنجبتك أنموذجك، ولترع العدالة
>
> والواجب الراسختين بشدة فى الآباء والأقارب
>
> وأهم من هذا كله فى أرض الوطن".(٢)

وكما سبق أن أشرنا ارتبطت كلمة *pietas* من ناحية الجذر بالكلمة *piaculum* التى تعنى "التكفير عن ذنب أو خطيئة للوصول للتقوى" وبالفعل *piare* الذى يعنى "يكفر أو يسعى ليسترضى إلهاً".

وتشير الكلمتان إلى الفكرة الأصلية لصنع قربان التكفير عوضاً عن النقص فى الطقس، لكنهما استخدمتا عند فيرجيليوس لتتضمنا معنىً أكثر شمولاً يختص بالتكفير عن الآثام. فسينون *Sinon* يخبر الطرواديين بأن الإغريق صنعوا الحصان الخشبى كقربان لبالاس *Pallas* أثينا عوضاً عن البالاديوم *Palladium* المسروق:

---

(1) Cicero, De Republica and De Legibus, Translated by Keyes (C. W.), L. C. L, London (1943) note 1, p. 14.

(2) Cic. Rep. vi. 16.

يخاطب والد سكيبيو ابنه سكيبيو هنا بلقب العائلة *Scipio* وذلك التزاماً بالشكليات أو الرسميات، لكن فى فقرة سابقة على هذه الفقرة يخاطبه باسمه الأول وهو *Publius*:

quare et tibi, Publii, et piis omnibus retinendus animus est in custodia corporis…..
Cic. Rep. vi. 15; cf. also Zetzel, Cicero De Republica ….. note 15. 4, p. 233.

hanc pro Palladio moniti, pro nomine laeso
effigiem statuere, nefas quae triste piaret.
"لقد نصحوا أن يقيموا هذا التمثال من أجل تمثال البالاديوم
ومن أجل الألوهية التى أهينت للتكفير عن هذا التدنيس الشديد"

وفى معنى مختلف قليلاً تؤكد سيبولا لشبح بالينوروس *Palinurus* أن الجيران سوف يقومون بتطهير عظامه من التدنيس الذى لحق به بسبب عدم دفنه وذلك بإقامة قبر له:

nam tua finitimi, longe lateque per urbes
prodigiis acti caelestibus, ossa piabunt.
"ذلك أن الجيران المدفوعون فى طول البلاد وعرضها
بنذر سماوية سوف يهدءون رفاتك"

وتظهر الكلمة *piacula* فى موضع آخر فى الإنيادة لتعنى بالتحديد قرابين مقدمة من أجل التكفير أو التطهير، وهى التى تطلب سيبولا من آينياس أن يقدمها من أجل بالينوروس:

duc nigras pecudes; ea prima piacula sunto.
"فلتحضر مواشى سوداء اللون ولتكن هذه قرابين التكفير الأولى".(١)

وقد عبدت البيتاس *Pietas* كإلهة مجردة، وهو ما يتضح من أمثلة عديدة وردت فى المصادر اللاتينية نذكر منها على سبيل المثال شيشرون أثناء حديثه فى مؤلفه "عن العرافة" *De Divinatione* عن المرات التى أمر فيها مجلس السناتو الرجال العشرة *decemviri* أن يستشيروا الكتب السيبولية بعد حدوث أمور غريبة فيذكر عندما تصبب عرقاً تمثال أبوللو فى كومى *Cumae* وتمثال إلهة النصر فى كابوا *Capua* وصدم ببرق من السماء تمثال الكنتور *Centaurus* فوق تل

(1) Verg. A. ii. 183-84; vi. 378-79; vi. 153.
وتعليقاً علي الكلمتين ossa piabunt اللتين وردتا في البيت ٣٧٨ من الكتاب السادس من الإنيادة يذكر Page أن القدماء كانوا يعتقدون أن الجسد تنتهك حرمته بتركه غير مقبور وانه لابد من تهدئته عن طريق الدفن وقرابين التكفير المطلوبة:
cf. Page (T. E.), P. Vergili Maronis Aeneidos Lib. vi. London (1963) note 379, p. 63; cf. also Bailey, The Religion in Virgil ….. p. 85.

البلاتين ومعابد كاستور ويوللوكس فى توسكولوم *Tusculum* ومعبد البيتاس *pietas* فى روما، حيث أشير إلى عبادة البيتاس هنا:

> cum Cumis Apollo sudavit, Capuae Victoria ….. cum in Capitolio ictus Centaurus e caelo est ..… Tusculi aedes Castoris et Pollucis, Romaeque Pietatis [1]

وعند المؤرخ ليفيوس ضمن سرده لأحداث عام ١٨١ ق.م. يتحدث عن معبدين كرسا فى روما، الأول لفينوس إيريكينا[•] *Venus Erycina* بالقرب من بوابة كولينا *Porta Collina* والثانى من أجل إلهة التقوى *Pietas* فى سوق الخضار *forum holitorio* :

> Aedes duae eo anno dedicatae sunt, una Veneris Erycinae ad portam Collinam: dedicavit L. Porcius L. F. Licinus duumvir, vota erat a consule L. Porcio Ligustino bello, altera in foro holitorio Pietatis.

وفى معرض ضربه أمثلة يوضح من خلالها فضيلة الإحساس بالواجب *pietas* التى وجدت عند الرومان يذكر المؤرخ بلينيوس *Plinius* مثالاً يستدل منه على عبادة البيتاس كإلهة، فيذكر أن امرأة من عامة الشعب وضيعة الشأن كانت قد أنجبت طفلاً فى الوقت الذى حصلت فيه على تصريح بزيارة أمها فى السجن، وعندما منعت من حمل الطعام إلى أمها داخل السجن من قبل الحراس قامت بإطعام أمها من ثدييها وكوفئت علي وفاءها هذا بإطلاق سراح أمها وتحول المكان الذى يقع فيه السجن إلى معبد للبيتاس *Pietas* وكان ذلك فى عام ١٥٠ ق.م. أثناء قنصلية جايوس كوينكتيوس C. Quinctius ومانيوس أكيليوس Manius Acilius:

> Pietatis exempla infinita quidem toto orbe extitere, ... C. Quinctio M’. Acilio coss. Templo Pietatis

---

(1) Cic. Div. i . xliii . 98.

(•) أطلق على فينوس لقب Venus Erycina نسبة إلي مدينة وجبل في شمالي غرب صقلية يحملان اسم Eryx اشتهرا بمعبد لفينوس إريكينا، ويقال أن الاسم Eryx جاء من اسم الملك إريكس ابن بوتيس Butes وفينوس وأخو أينياس .....

Lewis And Short, A Latin Dictionary, Oxford At The Clarendon Press (1991) s. v. Eryx.

extructo in illius carceris sede, ubi nunc Marcelli theatrum est.(1)

وفى العصر الاوغسطى ارتبطت البيتاس *Pietas* بأوغسطس، فقد صورت على عملة ترجع إلى هذا العصر كتبت عليها الكلمتان *Pietas Augusta* حيث كانت الحاجة ماسة آنذاك إلى تشجيع تضامن الأسرة وحب الوطن، وصورت أيضاً على شكل امرأة يصحبها طائر اللقلق الذى يرمز للتقوى.(٢)

وكما عبدت البيتاس *Pietas* فى روما باعتبارها فضيلة من الفضائل الأخلاقية وبنيت لها المعابد فكذلك أيضا عبد الوئام *Cocordia* والثقة *Fides* والحقيقة *Veritas* والخجل *Pudor*. وقد أشار أوفيديوس فى الأعياد *Fasti* إلى عبادة إلهة الوئام *Concordia* فى روما وتكريس معبد لها:

nunc bene prospicies Latiam, Concordia, turbam,
nunc te sacratae constituere manus.

"الآن سوف تعيرين الحشد اللاتينى اهتمامك ياكونكورديا
والآن أقامتك (أقامت تمثالك) الأيدى الطاهرة"

وأشار بلاوتوس فى أكثر من موضع إلى عبادة الثقة *Fides* كإلهة. ففى مسرحية وعاء الذهب *Aulularia* يأخذ يوكليو *Euclio* العجوز الأثيني وعاءه المصنوع من الذهب ليحتفظ به فى أمان فى مكان مقدس خاص بإلهة الثقة *Fides*:

nunc hoc mihi factu est optumum, ut ted auferam,
aula, in Fidei fanum:

"إن أفضل شئ أفعله الآن، أيها الوعاء، هو أن أحملك إلى معبد إلهة الثقة"

ويخاطب نفس الإلهة قائلاً:

Fides, novisti me et ego te:
"لقد عرفتنى، يا إلهة الثقة، وأنا عرفتك:

(1) Liv. xl. xxxiv. 4; Plin. N. H. vii. xxxvi (121).

(2) Ferguson (J.), The Religions of The Roman Empire, London (1982) p. 72.

ويستمر فى مخاطبتها قائلاً:

ibo ad te fretus tua, Fides, fiducia.

"سوف أمضى إليك، يا إلهة الثقة، معتمداً على إخلاصك".

وفى موضع آخر يصرح يوكليو بأنه يثق فى الإله سيلفانوس *Silvanus* أكثر من إلهة الثقة هذه:

certumst, Silvano potius credam quam Fide.
"من المؤكد أنى أثق بالإله سيلفانوس أكثر من إلهة الثقة".(١)

وفى أبيات وردت عند هوراتيوس فى أوديته الخامسة والعشرين يشير إلى عبادة الخجل كإله وكذلك العدالة والثقة والحقيقة:

ergo Quintilium perpetuus sopor
urget? cui Pudor et Iustitiae soror,
incorrupta Fides, nudaque Veritas,
quando ullum inveniet parem?

"هل يطبق النوم العميق المتواصل بشدة
على كوينتيليوس؟ متى يجد إله الخجل
وأخت إلهة العدالة، إلهة الثقة الصالحة،
وإلهة الحقيقة النزيهة أى نظير له"؟.(٢)

وقد كان تكريس معبد لألوهية مجردة يهدف بالطبع إلى الإقرار العام بأهمية هذه الألوهية الخاصة، لكن إذا امتلكت العبادة أى معنى فإنها تشير إلى أن قوة فوقية أو علوية كانت مهتمة بنوع معين من السلوك وسوف تساعد على جعله ينتشر بين العباد.(٣)

(1) Ov. F. I. 639-40; Plaut. Aul. 252, 253, 254, 256, 676; cf. also Liebeschuetz (J. H. W. G.), Continuity And Change In Roman Religion, Oxford, At The Clarendon Press (1969) p. 51 and Grant (M.), History of Rome, London (1978) p. 60.

(2) Hor. Od. xxiv. 5-8.

(3) cf. Liebeschuetz, ibid. p. 52.

نخلص مما سبق إلى أن البيتاس *pietas* كخلق رومانى أصيل كانت ذات أهمية كبيرة فى حياة الرومان بوجه عام وفى حياة آينياس بوجه خاص باعتباره نموذجاً فريداً للتقوى الرومانية، ظهر فى الإنيادة بمظهر الشخص البار بأبيه الموقر لآلهته الحريص على تراثه ورفاقه المنفذ لأمر القدر.

وقد دفعه كل هذا لأن يتخلى عن حبه ويقطع البحار والقفار ويتحمل كل المصاعب والمتاعب التي أثارتها جونو فى وجهه، وحتى عندما يتخلى عن تقواه *pietas* فى نهاية الملحمة ويقتل تورنوس يكون ذلك تنفيذاً لأمر القدر.

ونظراً لأهمية كلمة بيتاس *pietas* فقد استخدمها الكتاب الرومان استخدامات عدة. لقد استخدموها بمعنى التقوى أو الورع أو الإحساس بالواجب تجاه الوالدين والدولة والآلهة أو بمعنى الحب والشفقة أو العدالة، وهى المعانى التى استخدمها فيرجيليوس فى الإنيادة وأضاف إليها معانى أخرى.

ونظراً لأهميتها أيضاً بالنسبة للرومان فقد عبدت كإلهة مجردة شأنها فى ذلك شأن الثقة والعدالة والحقيقة والخجل.

وعندما أسس ماريوس *Marius* معبد الفضيلة *Virtus* كان يؤكد بوضوح على قيمة تستحقها الدولة هى النبل بوجه عام .....

cf. also Liebeschuetz , note 2, p. 52 .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- Clcero, De Republica, Edited By Zetzel (E. G.), Cambridge University Press, First Published (1995).
- …….. , Pro Balbo, (TLG.).
- …….. , De Inventione, (TLG.).
- ……. , De Divinatione, With An English Translation By Falconer (W. A.), L. C. L., London (1953).
- ……., De Natura Deorum Academica, With an English Translation By Rackhman (H,), L. C. L., London (1951).
- …….., De Partitione Oratoria, With An English Translation By Rackham (H.) L. C. L. vol, II, London (1948).
- ……., Pro Murina, with An English Translation By Lord (L. E.), L. C. L. London (1953).
- Horace the Odes And Epodes, with An English Translation By Bennet (C. E.), L. C. L. London (1947).
- Livy, with An English Translation By Sage (E. T.), L. C. L. Vol. IX, London (1936).
- ……, with An English Translation By Sage (E. T.) and Schlesinger (A. C.) L C. L. Vol. XII, London, (1948).
- Ovid's. Fasti, with An English Translation By Frazer (J. G.), L. C. L. London, (1951).
- Ovid, Metamorphoses,with An English Translation By Miller (F. J.), L. C. L. Vol. 1, London, (1951).
- Plautus, Mostellaria, with An English Translation By Paul Nixon, L. C. L., vol. III, London, (1950).
- ……. , Pseudolus, Rudens, With An English Translation By Paul Nixon, Vol. IV. London, (1951).

- ……. , Stichus, Trinummus, With An English Translation By Paul Nixon, vol. V, London, (1952).

- ……. , Asinaria, Aulularia, Bacchides, Captivi, with An English Translaion By Paul Nixon, L. C. L. London (1950).

- Pliny, Natural History, L. C. L. Vol. II. London, (1947).

- Propertius , with An English Translation By Butler (H. E.), L. C. L. London (1967).

- Terentius, Adelphoe, with An English Translation By John Sargeaunt, L. C. L. Vol. II. London (1951).

- Virgil, Aeneide, I Buch 1-3 (Teubner 1914).

- …… , ---------- , II ------ 4-6 (---------- 1912).

- …..... , ---------- , III ----- 7-9 (---------- 1892).

- ..…… , ---------- , IV ----- 10-12 (----------1902).

ثانياً: المراجع

-Hammond (N. G. L.) And Scullard (H. H.) The Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Oxford At The Clarendon Press (1979).

- Lewis & Short, a Latin Dictionary, Oxford At The Clarendon Press (1991).

- Adcock (F. E.), Roman Palitical Ideas and Practice, Pululished in the United States of America by The University of Michigan (1959).

- Gemino Abad, Virgil's Aeneas: The Roman Ideal of Pietas, (October 2003) (https //mercury.edu,sg./rsrchpubupload/1807/virgil.pdf).

- Austin (R. G.), P. Virgili Maronis Aeneidos Liber Quartus, Oxford At The Clarendon Press, First Published (1955), Reprinted (1966).

- Bailey (C.), Religion In Virgil, Oxford At The Clarendon Press (1935).

- Fowler (W.), The Religious Experience of The Roman People from The Earliest Times To The Age of Augustus, Macmillan And Co., limited London (1933).

- Ferguson (J.), The Religions of the Roman Empire, first published in Great Britain in (1970) Reprinted (1982).

- Grant (M.), History of Rome, London (1978).

- Hanson (J. A.), Plantus as a Source Book for Roman Religion, Transactions And Proceedinds of the American Philological Association, Edited by Donald W. Frakken, Volume XC (1959).

- Classical Studies III, Satoshi Iwaya, legend and Prophecy in the Aeneid II and III. (2007). (http://www.bun.Kyoto-u.ac.Jp/classics/CLST/clst3.html).

- Johnson (W . R), "Aeneas and the ironies of pietas" CJ. 60 (1965) pp. 360-64.

- Liebeschuetz (J. H. W. G.), Continuity And Change In Roman Religion, Oxford, At the Clarendon Press (1969).

- Monti (R. C.), The Dido Episode And The Aeneid, Leiden E. J. Brill (1981).

- Page (T. E .), P. Vergili Maronis Aeneidos Lib. III London (1941).

- …….. , P. Vergili Maronis Aeneidos Lib. IV, London (1963).

- Rupke (J.), The Cambridge Companion to the Roman Republic (8 Roman Religion), Cambridge University Press. (2004).

- Rose (H. J.) , Ancient Roman Religion, London. (1948).

- Segal (E.), Roman Laughter,The Comedy of Plautus, Harvard University Press, Cambridge (1968).

-Steel (C. E. W.), Cicero Rhetoric and Empire, Oxford University Press, First Published. (2001).

- Williams (G.), Technique and Ideas in the Aeneid, Yale University Press, New Haven and London (1983).

- Wagenvoort (H.), Studies in Roman Literature, Culture And Religion, Leiden, E . J . Brill (1956).

. فيرجيليوس، الإنيادة، ترجمة لفيف من العلماء، الجزء الأول، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٧١).

ـ فيرجيليوس، الإنيادة، ترجمة لفيف من العلماء، الجزء الثانى، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٧٧).